

1- قاضى الجاعة = قاضى القضاة.

وكان طبيعياً أن يتلاقيا - بعد ذلك - في أنهما كليهما لم يكونا بمنزلة سواء في مواقفهم من الدولة؛ بل كان من الشعراء من يتصل بحكومته على أساس من الاخلاص لها، والرغبة في بقائها، والمعاونة الصادقة في خدمتها؛ ومن يتصل بها على أساس من المنفعة الشخصية، والنفاق السياسي، ومن يتصل بها اتصال المكروه المدارى، حرصاً على الحياة، وإبقاء على النفس. ومن وراء أولئك آخرون تمردوا على الدولة، واتخذوا مواقف أخرى، محافظة على مبدأ، أو تشيعاً لبعض الأحزاب، أو غضباً للحرمان من الوظائف أو المناصب؛ أو غير ذلك مما يغضب وثير.

وعلى أمثال هذه البواعث تقوم صلات الفقهاء بالدولة أيضاً، فمنهم العامل في ذات الدولة؛ ومنهم العامل للهوى والشهوات الدنيا.

و قد سجل التاريخ صفحات بيضاء لكثير من أحرار الفقهاء، تعتبر بحق من مفاخر الإسلام على وجه الزمان.

يقول الطبري: لما دخل الوليد بن عبد الملك المدينة في حجه سنة 91، غدا إلى المسجد ينظر إلى بنائه، فأخرج الناس منه فما ترك فيه أحد، وبقي سعيد بن المسيب، ما يجترء أحد من الحرس أن يخرج، وما عليه إلا ربطتان متساويتان إلا خمسة دراهم، في مصلاه؛ فقليل له: لو قمت. قال: وإني لا أقوم حتى يأتى الوقت الذى كنت أقوم فيه! قيل: فلو سلمت علي أمير المؤمنين؛ قال: وإني لا أقوم إليه! قال عمر بن عبدالعزيز: فجعلت أعدل بالوليد في ناحية المسجد: رجاء أن لا يرى سعيداً حتى يقوم؛ فحانت من الوليد نظرة إلى القبلة، فقال: من ذلك الجالس، أهو الشيخ سعيد بن المسيب؟ فجعل عمر يقول: نعم يا أمير المؤمنين؛ ومن حاله، ومن حاله؛ ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك؛ وهو ضعيف البصر. قال الوليد: قد علمت حاله؛ ونحن نأتيه فنسلم عليه. فدار المسجد حتى وقف على القبر؛ ثم أقبل حتى وقف على سعيد، فقال: كيف أنت

